المحاضرة 4: الروادو التجربة الشعرية الجديدة2:

تحليل نص " أنشودة مطر " للشاعر بدر شاكر السياب:

التعريف بالشاعر

بدر شاكر السياب شاعر عربي عراقي ولد1929م بقرية (جيكور) بالبصرة ، كانت طفولته سعيدة يحب مراقبة السفن والمراكب وقد تركت حكايات جدته انطباعات عميقة الأثر في نفسه جسدها شعرا فيما بعد ، أتم تعليمه الثانوي فيها ثم التحق بدار المعلمين ببغداد وتخصص في اللغة العربية والإنجليزية وزادت شهرته من خلال المجالس الأدبية عمل معلما كما عمل في الاستيراد والتصدير بميناء البصرة ، وخسر في الجميع لمواقفه السياسية فقد كانت الحركات اليسارية العربية في العراق مشتعلة وقد انضم السياب إلى الموجة الشيوعية والتي انعكست على شعره فاتسم بالبعد عن مقتضى الإيمان ثم حدثت بعض المفارقات التي أبعدته عن الفكر الشيوعي فقد كان طريدا من قبل الحكومة مما دفعه للجوء إلى إيران . أصيب السياب بداء عضال أقعده فكان الجسر الذي عبر من خلاله إلى التوبة وتفجرت من خلاله المعاني الإيمانية ، يعد من رواد شعر التفعيلة ، وقد تأثر السياب بالأدب العربي و الأوروبي والإنجليزي والصيني مما كان عاملا لنزوعه إلى الأسطورة والرمز ، له عدة دواوين منها : أزهار ذابلة وأساطير وأنشودة المطر وقد جمعت في مجلدين .

الأسطورة في أدب السياب :

تظهر الأسطورة القديمة واضحة جليّة في شعر كثير من الشعراء العرب، وتظهر بكثرة في شعر السيَّاب تحديدًا، وبالحديث عن الأساطير التي استطاع السياب أن يذكرها باسمها أو بصفاتها في قصائده، أسطورة **عشتار** وهي آلهة الخصب التي تظهر صفاتها واضحة الملامح في مطلع قصيدته أنشودة المطر التي يقول فيها: **(عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ...)** وتظهر أيضًا أسطورة **سربروس** اليونانية، وهي أسطورة تتحدث عن كلب يوناني يحرس مملكة الموت في الأسطورة، وتظهر هذه الأسطورة في شعر السيَّاب في قصيدته "سربروس في بابل" والتي يقول فيها: (ليعو سربروس في الدروبْ/ في بابلَ الحزينةِ المهدمةْ /و يملأ الفضاءُ زمزمهْ/ يمزِّقُ الصغارُ بالنيوبِ يقضمُ العظامْ /و يشربُ القلوبْ /عيناهُ نيزكانِ في الظلامْ/ و شدقُهُ الرهيبُ موجتانِ منْ مدى/ تخبِّئُ الرَّدى/ أشداقُهُ الرهيبةُ الثلاثَةُ احتراقْ/ يؤجّ في العراقْ) وتكثرُ الأساطير في شعر السيّاب، هذه الأساطير التي تدلُّ على ثقافة هذا الشاعر الكبير، واطلاعه الواسع على أساطير التاريخ التي استطاع أن يعيد رسمها بالكلمات في أبهى حلّة هيئة.

قصيدة أنشودة المطر:

مناسبة القصيدة

اتخذ بدر شاكر السياب من المطر رمزا واسعا قادرا على حمل هواجس النفس الإنسانية . فيتخذ الشاعر من موطنه العراق حبيبة يتغنى بها ويتمنى أن يعم وطنه الخير والخصب والنماء منطلقا من همه الفردي الخاص إلى عرض بعض الهموم الاجتماعية مثل : الفقر والجوع على الرغم من وجود الخير الكثير في بلده .

تعدُّ قصيدة أنشودة المطر من أعظم القصائد التي قيلتْ في الغزل في الشعر العربي الحديث، ويرجع هذا لما تحويه هذه القصيدة من حسن صياغة وصور فنية تذهب بالقارئ إلى مجازات بعيدة وخيالات مرهفة كإحساس السيَّاب، ويقول بدر شاكر السيَّاب في قصيدته أنشودة المطر:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ
أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القمرْ
عيناكِ حين تبسمانِ تورقُ الكرومْ
وترقصُ الأضواءُ، كالأقمارِ في نهَرْ
يَرُجُّهُ المجذافُ وهْنًا ساعة السَّحَرْ
كأنَّما تنبضُ في غوريهما، النّجومْ
وتغرقانِ في ضبابٍ من أسىً شفيفْ
كالبحر سرَّح اليدين فوقَهُ المساءْ
دفءُ الشتاء فيه وارتعاشةُ الخريفْ
والموت، والميلادُ، والظلامُ، والضياءْ
فتستفيقُ ملءَ روحيْ، رعشةُ البُكاءْ
ونشوةٌ وحشيَّةٌ تعانقُ السَّماء
كنشوة الطفل إذا خافَ منَ القمرْ!
كأنَّ أقواسَ السَّحابِ تَشَربُ الغيومْ
وقطرةً فقطرةً تذوبُ في المطرْ
وكركرَ الأطفالُ في عرائشِ الكرومْ
ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشجرْ
أنشودةُ المطرْ
مطرْ مطرْ مطرْ

المفردات :

السحر : قبل الصبح (ج) أسحار ، ينأى : يبتعد ، تورق : تكثر أوراقها " دلالة على الإزهار والإثمار" ، الكروم : شجر العنب ، يرجه : يهزه بشدة ويحركه ، المجداف : خشبة يحرك بها القارب (ج) مجاديف ، وهناً : نصف الليل ووَهِنَ بمعنى أصابه الوجع ويقال "دخل في الوهن من الليل " ، تنبض : تحرك الشيء في مكانه ، غور : القعر والعمق (ج) غيران وأغوار ، تغرقان : يغلب عليها الماء حتى يهلكها ، الضباب : سحاب يغشى الأرض كالدخان، أسى : حزن ، شفيف : شديد ، سرَّح : أرسل ، ارتعش : ارتجف واضطرب ، تستفيق : أفاق فلان أي عاد إلى طبيعته من غشية لحقته ، ملء : قدر ما يأخذه الإناء ، رعشة : رجفة ، نشوة : أول السكر والارتياح للأمر والنشاط له والمراد بها الرغبة ، وحشية : عارمة لا يسيطر عليها ، تعانق : تحتضن حباً ، أقواس : مفردها قوس وهو جزء من محيط الدائرة ، الغيوم : السحب مفردها غيمة ، تذوب : تسيل ، كركر : ضحك بشدة ، عرائش : مفردها عريشة وهو ما يستظل به ، دغدغ : غمزة تسبب انفعالا ، أنشودة : الشعر المتناشد بين القوم (ج) أناشيد .

يتخيّل بدر شاكر السياب في هذا المقطع حبيبته التي يشبّه عينيها بلون غابة النخيل في الليل، وقت السحر تحديدًا، ويصف جوَّ مدينته العراقية الهادئة التي تحمل في سكونها كلَّ مظاهر الطبيعة، فيُسقط هذا الجمال الإلهي على عينَيْ حبيبته بطريقة شاعرية مذهلة، فيصف شجر الكروم، والقارب الذي يسير في النهر القريب، والنجوم التي تلمع بضوئها الذي يكاد يغيب في شحوب المساء التي يغطيها ضباب خفيف، ثمَّ يتحدّث عن أطفال العراق وضحكاتهم وكركراتهم ولُعَبِهم فيعود إلى طفولتِهِ القديمة، ويذكر كيف يتساقط المطر على العصافير التي تتنقل بين غصون الشجر، فيقول: ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشجرْ أنشودةُ المطرْ مطرْ مطرْ

ثم يقولُ السَّيَّابُ في قصيدتهِ أنشودة المطر:

تثاءب المساءُ، والغيومُ ما تزالْ
تسحُّ ما تسحّ من دموعِها الثقالْ
كأنَّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينامْ:
بأنَّ أمّه التي أفاقَ منذ عامْ
فلم يجدها، ثمَّ حين لجّ في السؤالْ
قالوا له: "بعد غدٍ تعودْ .. "
لا بدَّ أن تعودْ
وإنْ تهامس الرفاق أنَّها هُناكْ
في جانب التلّ تنام نومةَ اللّحودْ
تسفُّ من ترابِها وتشربُ المطرْ
كأنَّ صيادًا حزينًا يجمعُ الشِّباكْ
ويلعنُ المياه والقَدَرْ
وينثر الغناء حيث يأفل القمرْ
مطرْ ..
مطرْ ..
أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعث المطرْ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمرْ؟
وكيف يشعر الوحيدُ فيه بالضّياعْ؟
بلا انتهاءٍ كالدَّم المُراقِ، كالجياعْ
كالحبِّ، كالأطفالِ، كالموتى، هو المطرْ!

ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبرَ أمواجِ الخليجِ تمسحُ البروق
سواحلَ العراقِ بالنجومِ والمحار،
كأنها تهمُّ بالشروق
فيسحبُ الليلُ عليها من دمٍ دثار

أصيحُ بالخيلج: "يا خليج
يا واهبَ اللؤلؤ والمحارِ والردى"
فيرجع الصدى
كأنُّه النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"

المفردات :
تثاءب : تصنّع الثوباء ، الثوباء حركة للفم لا إرادية من هجوم النوم أو الكسل ، تسح : تنزل وتنصب ، الثقال : الشيء الكريه للنفس ، يهذي : تكلم بغير معقول لمرض ، أفاق : تنبه ، لج : ألح ولزم الشيء ولم ينصرف عنه ، تهامس : تكلم بصوت منخفض ، التل : ما علا من الأرض (ج) تلال ، اللحود : مفردها لحد وهو القبر ، تسف : تأكل ، يلعن : يسب ، القدر : قضاء الله ، ينثر : ينشر ، يأفل : يغيب ، تنشج : ونَشَجَ الباكي يَنْشِج نَشْجاً ونَشيجاً، إذا غَصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب ، المزاريب : مفردها مزراب وهي مجاري للماء ، انهمر : سال بشدة ، الضياع : الفقد والهلاك ، المراق : المسال ، مقلتاك : عيناك ، تطيفان : تأتيان كالخيال ، المحار : حيوان بحري ينتج اللؤلؤ ، تهم : تشرع ، دثار : ما يتدثر به (يتغطى به) الإنسان من كساء أو غيره ، واهب : معطي ، الردى : الموت والهلاك ، الصدى : رجع الصوت .

يستمر الشاعر في تداعي الذكريات التي تربطه بالوطن في تعبيرات رمزية رائعة ، فيرى دخول الليل وما زالت الغيوم تنزل المطر الذي أثقل كاهلها فيرى أبناء العراق الذين استفاقوا من غفوتهم للتحرر يحملون معهم الأمل الذي سيتحقق طالما أصروا عليه وقد أخذ بعض الرفاق البعيدين عن الوطن يتكلمون همسا أن العراق ما زالت في رقادها وذلها وهوانها فالشعب يعاني فيها في يأس وحزن ينعى حظه وقدره يحاول أن يتغلب على قهره بالغناء عندما يغيب القمر منشدا " مطر... مطر .."

ثم يوضح الشاعر أن المطر يبعث الحزن في نفسه ، فعندما ينهمر المطر ويسمع صوت وقع الماء من المزاريب وكأنه بكاء عنيف يشعر الإنسان الوحيد بالضياع والهلاك ولا ينتهي هذا الشعور كالشعور الناجم من رؤية الدم المسال والناس الجوعى أو الشعور بالحب المتجدد والحنين للوطن والشعور النابع من رؤية طفل أو ميت ، فالمطر يطلق هذا الشعور باستمرارية .

تمر علي هذه الأطياف أطياف الوطن مع هطول المطر فأقف أتأمل أمواج الخليج التي تحمل معها الأمل من جديد وقد رأيت الأحرار الذين يعدون أنفسهم لتخليص العراق من الظلم واسترداد ثرواتها المسلوبة وكأنهم سيشرقون بعراق جديد ولكن هذه المحاولات انتهت بالفشل وسالت دماء هؤلاء الأحرار ومن بقى منهم لاجئا بعيدا عن وطنه ليس له إلا أن ينادي على الخليج الذي يهب الخير والعطاء وكذلك الهلاك لصعوبة الحصول على خيراته ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتفشل هذه الحركات التحررية .

أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود
ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمَها الرجال
لم تترك الرياحُ من ثمود
في الوادِ من أثر

أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيفِ وبالقلوع
عواصفَ الخليجِ والرعود، منشدين
مطر.. مطر .. مطر

المفردات :

يذخر : خبأ لوقت الحاجة ، الرعود : صوت السحاب المصطدم المحمل بالمطر ، البروق : مفردها برق وهوا للمعان الناتج من اصطدام السحب ببعضها ، فضّ : فض الشيء فرقه ، ختمها : ختم النحل أي ملأ خليته عسلا ، واختم الشيء أي أتمه ، ثمود : إشارة إلى قوم ثمود الذين أخذهم الله بالصيحة والرجفة والزلزلة ، تئن : تتألم ، المهاجرين : المستعمرين ، يصارعون : يقاتلون ، المجاذيف : مفردها مجذاف وهو ما تتحرك به السفينة ، القلوع : مفردها قلع وهو الشراع ، عواصف : مفردها عاصفة وهي الريح الشديدة .

في هذا المقطع يوضح السياب الهم الذي سبب له الأرق وهو المستعمر الذي غزا بلاده فنجده يعايش الموقف بالعراق فالثورة قائمة والعراقيون يستعدون للقاء المستعمر وحربه ولكن تفرقوا وتشتت أمرهم فلم يبق إلا صوت المطر الذي يضفي الحزن في النفس وكذلك القرى التي لحقها الدمار من جراء الصراع الذي دار بينهم وبين المستعمر لاقتلاع خيرات الخليج.